محاربة الخمور

(٢)

التسمم الكحولي اما ان يكون حاداً واما ان يكون مزمناً

فالحاد المعبر عنهُ بالسكر ينشأ عن الافراط في تناول المشروبات الروحية في زمن قصير ولاسيما اذا كان الانسان غير متعود الشراب ويتصف بدور التهيج ويعقبهُ دور الهبوط او الانحطاط

اما دور التهيج فاعراضهُ احتقان الوجه ولمعان العينين وسرعة النبض والسرور والفرح والضحك والقهقهة وذلاقة اللسان والتبذير وافشاء الاسرار وسوء اختيار الالفاظ والخروج عن حدود الآداب واللياقة والغضب لأيسر سبب او بلا سبب والاندفاع الى الضرب والشتم والكسر وارتكاب الجرائم والعمل الشهواني

ثم تتعذر الحركات حتى السهلة منها ويختل التوازن ويتلعثم اللسان ويبهت الوجه ثم يحدث القيء وينام المصاب فاذا استيقظ شعر بصداع وتلبك في المعدة

ومما نضرب مثلاً لدور التهيج : ذكرت جريدة الجورنال في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٠٧ ان رجلاً اسمهُ شومان جرح اثناء تهيجهِ الناشيء عن نوبة كحولية عشرة اشخاص وذلك انهُ كان يتنزه مع ثلاثة من اصدقائهِ وفتاة فطافوا جميعاً على عدة حانات وتناولوا في كل منها شيئاً من الخمر ثم استقر رأيهم على الدخول في حانة يدعى صاحبها (بروح) في شارع الكبري الصغير فابى عليهم الدخول في حانتهِ فاثار ذلك في نفس شومان نوبة كحولية فاخرج سكيناً وطعن بهِ الخمار عدة طعنات الاَّ ان الخمار تمكن من الفرار بالرغم من جراحهِ واستغاث بثلة من العمال كانوا خارجين من المصنع فهجم شومان عليهم وجرح كل من وجدهُ على مقربة منهُ حتى بلغ عدد الجرحى عشرة ثم فر الى منزلهِ في شارع المالية وهناك تحصن بهِ غير ان رجال الشرطة تمكنوا من القاء القبض عليهِ

وصرح لي احد المدمنين انهُ شرب ذات ليلة كمية من الكحول مع اصدقائهِ فشعر بقوة شديدة كقوة الوحوش الكاسرة لذلك غادر اخوانهُ بدون استئذان

وقصد المنزل وهنالك تصور ان عقلهُ يكاد يفارقهُ فانكر جميع افراد اسرتهِ واخذ يجري في البيت كالمجنون ويضرب النساء والاولاد ويكسر زجاج النوافذ والمرايا وكل ما وجد في طريقهِ فارتاع اهل البيت وفروا من وجههِ واستغاثوا بالجيران وبعدئذٍ قبضوا عليهِ وهدأوا حالتهُ ثم قاء ما في جوفهِ ونام ولم يستيقظ الاَّ متأخراً في الصباح فوجد زوجتهُ واولادهُ يكون حولهُ فاستفسر عن سبب بكائهم اذ نسي ما فعلهُ في الليل فاخبروهُ بالقصة فلم يصدق كل ما حدث منهُ فأراهُ آثار الكسر ووجد هو نفسهُ آثار جروح وخدوش في جسمهِ. والظاهر ان هذه الحادثة اثرت في نفسهِ تأثيراً حسناً حتى انهُ عزم على ابطال الخمر معها كلفهُ ذلك

والحوادث من هذا القبيل كثيرة لا تحصر

اما دور الهبوط فيحدث اذا بقيت الخمرة في المعدة ولم يقيء المصاب فيفقد الادراك ويتناقص الحس وترتخي العضلات ويجف الفم ويعسر التنفس ويضعف النبض وتثبت الجدقة وقد يحدث هذيان وتصاب الرئة باختناقات والتهابات مميتة ثم ينام السكران فاذا استيقظ لا يتذكر ما حدث اثناء السكر الاَّ شيئاً قليلاً غير واضح . اما اذا كان مقدار الكحول المتناول كبيراً انخفضت الحرارة وانتهت الحالة بالموت .وقد قسم العرب تأثير السكر الى ثلاث درجات الاولى فيها الانسان كالطاووس بمعنى انهُ يصير معجباً بنفسهِ يتبختر في مشيتهِ ويظهر عليهِ الجمال والتيه والدلال والثانية يصير كالفرد اي يجري ويثب ويلعب ويصير كثير المشي وسريع الحركة والثالثة كالخنزير فيتمرغ في الاوحال والادناس

التسمم الكحولي المزمن هو نتيجة استمرار المدمن على المشروبات الروحية فتعتل الصحة ويختل الجهاز الهضمي ويتأثر المجموع العصبي ويعتري المصاب نوب حادة تعرف بالارتعاش الكحولي ويشتكي المريض من صداع ودوار وتنمل في الجسم وارتجاف في الاطراف العليا والسفلى والشفتين واللسان ولاسيما في الصباح ويضطرب اثناء الليل باحلام مفزعة فيرى بعض الحيوانات كالفيران ويحسب انها تجري فوقهُ وبجواره وتحت فراشهِ وتصاب الحواس بما يسمونهُ هلوسة اي تصور اشياء وهمية لا وجود لها منها:

١ — هلوسة السمع — يسمع المريض طنيناً في الاذنين فيحسبهُ صراخاً او

تهديداً او شيئاً مخدشاً بالشرف فاذا كان في منزله اتهم زوجتهُ واولادهُ وربما ضربهم او شتمهم

٢ — هلوسة النظر — يرى المصاب حتى في النهار اشياء لا وجود لها كسحاب او ظل او رجالاً يهددونهُ او يرى نفسهُ في وسط لهب او تحت مشنقة فيفزع اشد الفزع

٣ — هلوسة الشم — يشم روائح كريهة تضايقهُ كرائحة المواد البرازية او الكبريت او البيض الفاسد وكثيراً ما يتهم اهل بيتهِ بعماكستهم لهُ بالقاء هذه المواد ذات الرائحة الكريهة

ومن اتكى ضروب الهذيان غيرة الرجل على زوجتهِ غيرة شديدة كاذبة فيتصور انها تحب سواهُ وانها تخونهُ فاذا اشتدت بهِ هذه الحالة بحث عن آلة حادة او مدس وهجم عليها وهي نائمة وحدها او مع اولادها الصغار وقتلها من غير ذنب ارتكبتهُ او اثم اقترفتهُ

ذكر الاستاذ (Stefanowsky) في مجلة الامراض العقلية الايطالية سنة ١٨٩٠ حادثة امرأة اسمها (Valentina) مع زوجها (Basilio) فقد كان هذا الزوج يسيء الى زوجتهِ من غير سبب متوهماً انها تخونهُ وانها سيئة السلوك والاخلاق وكانت تتحمل منهُ هذه الاساءة خوفاً على ضياع مستقبل اولادها فشرب ذات ليلة في عيد من اعيادهم اكثر من عادتهِ وكانت امرأتهُ حاملاً في الشهر التاسع فاخذ يضربها بقطعة من حديد الى ان كسر عظم انفها فتداخل الجيران بينهما وفي غد تلك الليلة استيقظ مبكراً واخذ يتناول الخمر ويعذب زوجتهُ فنعهُ الجيران ايضاً الاَّ انهُ عاد في المساء الى المنزل واغلق الباب ووضع المفتاح في جيبهِ وبدأ في ضرب زوجتهِ بالسوط وكان اذا تعب استراح وعاد الى شرب الخمر وكان الجيران اثناء الليل يسمعون صوتهُ وهو يشتمها ويعنفها ولا يسمعونها وهي تستغيث لانهُ كان يضع يدهُ على فمها فدخلوا عليهِ عنوة فهددهم بالمدس فانصرفوا واستمر هو في تعذيبها الى الصباح وعندئذٍ جاء رجال الشرطة والطبيب فوجدوها في حالة اغماء شديد وعد الطبيب على جسمها ثلاثماية ضربة فنقلت الى المستشفى وفارقت الحياة بعد ساعة

قال العلامة الايطالي المشهور لمبروزو في كتابهِ (الجريمة اسبابها وعلاجها) ان محاولة الانتحار كثيرة الحصول في السكيرين وطريقة الانتحار لا تكاد تختلف عندهم وذكر عدة حوادث منها

(١) كان بعضهم مع اخوانهِ ولم يشرب غير كأس واحدة فتركهم بعد ان كان يضحك معهم والقى بنفسهِ في نهر البو فانقذوهُ ولكنهُ بعد ذلك اخذ يضرب رأسهُ بحديد الكوبري ولما استفاق من سكرتهِ تعجب كيف خطرت ببالهِ فكرة الانتحار

(٢) اعترف شاب محترف بالجزارة اسمهُ امبروازكان قد القى بنفسهِ في شهر اكتوبر سنة ١٨٨١ في نهر بافيليو وانقذ بصعوبة شديدة انهُ شرب نحو لترين من النبيذ مع اصدقائهِ ثم شعر بالاختناق فاسرع الى المنزل ولكنهُ لم يلبث ان خرج منهُ ليستأنف الشرب مع اخوانهِ متوهماً ان حالتهُ قد تحسنت غير انهُ بعد قليل شعر بدافع قوي يدفعهُ نحو المياه وتصور انهُ يحبها كما يحب الانسان عشيقتهُ فذهب والقى بنفسهِ في النهر فحاول اصدقاؤهُ انقاذهُ فلم يتمكنوا في بادىء الامر الاَّ من امتلاك الجاكتة ثم انقذوهُ بعد جهد جهيد وقال انني اشعر برغبة في العمل ولكنني سأحذر من ان اوجد الدافع الذي يجعلني احب الماء

(٣) كان احدهم يأكل مع اصدقائهِ ويتناول الخمر معهم فقام وقبض على سكين وجعل يطعن بهِ اصدقاءهُ ثم ذهب الى غرفتهِ وانتحر باطلاق المسدس على رأسهِ

الوراثة والخمور

بعد ذلك تكلم عن مسألة الوراثة ومذاهب العلماء فيها بالاختصار

لاحظ العالم الفرنسي لامارك ان الحيوان او الانسان اذا غادر بيئتهُ القديمة وانتقل الى بيئة جديدة لها مؤثرات تختلف عن الاخرى حدث لهُ تغير في وظائف اعضائهِ بسبب هذه المؤثرات الجديدة فتقوى بعض الاعضاء وتضعف الاخرى

ثم جاء بعدهُ داروين ودرس هذه التغيرات من وجهة النشوء والارتقاء فقال ان الانسان مجموعة صفات وكل صفة من صفاتهِ تتغير بتغير البيئة فان كانت صالحة نمت وبالتكرار يصبح التغير صفة اساسية فيورثهُ لاعقابهِ

اما مورلي فانهُ بحث التغيرات المضعفة التي تؤدي الى زوال العضو او زوال الانسان نفسهِ بتكرار المؤثرات المضعفة

غير ان فيس مان العالم الالماني انتقد نظرية دارون وقال ان الصفات كلها غير قابلة للتغيير وقد اثبت بنظريته المشهورة (المادة القابلة للتفريخ) ان الصفات الاساسية المميزة للانواع او الاجناس لا تتغير بحيث يستحيل ان يتحول الانسان قرداً او القرد انساناً وهذه الصفات الاساسية كامنة في المادة القابلة للتفريخ

ثم جاء المشايعون لمذهب دارون فوفقوا بين مذهبه ومذهب فيس مان قائلين ان الصفات المميزة للنوع تتغير ولكن تغيراً بطيئاً جداً على مر الاجيال

اما الصفات الاخرى فسريعة التغير وقد اثبتت المباحث الجديدة كمباحث لوجارو وغيره من الاطباء ان العوامل الموثوق بها الآن التي تؤثر في تغيير المادة القابلة للتفريخ هو الكحول فانهُ يؤثر فيها حتى يكاد يخرج الانسان عن نوعه بالرغم من انهُ يغير الصفات الاخرى فيظهر في النسل شهوات عضوية وشذوذ معيب في الطبائع كالميل الى التشرد وارتكاب الجرائم والبله والحماقة وما شاكل ذلك

يتضح من هذه المباحث ان المشروبات الروحية خطر على المدمنين وانهم عرضة لكثير من الآفات العقلية والجسمية وان خطرهم غير مقصور على انفسهم بل يتعدى الى غيرهم حتى الى من لهم اقل علاقة بهم

الخمور في مصر

انتشرت الخمور في انحاء القطر المصري وازداد عدد الحانات زيادة مدهشة واني اعتبر السكوت عن هذه الحالة جريمة لا تغتفر لان الامة اذا استمرت على هذا المنوال يتجرع المسكرات فيها رجالها ونساؤها . عالمها وجاهلها . غنيها وفقيرها . في كل مدينة وقرية وفي الشوارع والازقة . وفي الاندية الخصوصية المعتبرة . والمحال العمومية . طول النهار والى الساعة الثانية بعد منتصف الليل . فان ذلك سيقضي بها حتماً الى الانقراض والفناء

ان الطبقة الفقيرة وصغار الموظفين يتهافتون على تناول ارخص المشروبات التي لا تزيد قيمتها على قيمة (البرتو المتاد)

وهذه الخمور الرخيصة المغشوشة السامة التي تقطع الاحشاء وتنخر العظام يبيعها الخمارون لابناء البلاد بحرية تامة وبلا رحمة ولا شفقة لان الغرض مجرد الكسب فيربحون من هؤلاء الفقراء البائسين المحتاجين للقوت الضروري اموالاً طائلة هي سبب فاقتنا وتعسنا وعلة ثروتهم وقوتهم المادية

هذا بالنظر الى الخمور فقط فاذا تقول اذا كانت لدينا سموم اخرى يقبل عليها السكان في كل مكان ؟ واعني بهذه السموم الافيون والحشيش والمنزول والداتورة والكوكايين والمورفين والاثير

أليست هذه المواد كلها هي السبب في تفشي الجنون والبله والغفلة وضعف العقل والجسم وفساد الاخلاق ؟ أليست هي من اهم العوامل في انتشار الامراض وكثرة الوفيات وشقاء العائلات وارتكاب الجرائم ؟ اي عذر لنا ايها السادة في السكوت عن هذه المهلكات ؟

اتعلمون كم من النقود تدفعها مصر لشراء الخمور من الخارج ؟ انها تدفع في كل عام نحو ٥٠٠ ٠٠٠ جنيه وانى اترك لحضراتكم تقدير المبلغ اذا بيعت هذه الخمور بالقطاعي هذا عدا اثمان المشروبات التي تصنع في داخل القطر

تنفق هذه الاموال الطائلة في شراء المسكرات ولدينا الف مشروع نافع في حاجة الى اقل مساعدة مالية وقد اتصل بي اخيراً من احد الاصدقاء الذين ساعدوني في هذا الموضوع ان عدد الحانات والمعامل في مدينة القاهرة وحدها بلغ نحو عشرين الفاً . أليست هذه طامة كبرى ومصيبة عظمى

نحن نؤكد دائماً اننا وطنيون نغار على بلادنا ونعمل على رفع شأننا من كل الوجوه فلماذا نرى علماءنا الذين يحتم عليهم الواجب ارشاد الامة لا يهتمون ولا يتحركون ولا يصفون العلاج ولا يتوسطون بما لهم من النفوذ والثقة لدى اولي الامر لمنع المشروبات الروحية ؟ ماذا ينتظرون ؟ هل ينتظرون ان تقوم الحكومة من تلقاء نفسها وتصدر امراً بابطال الخمور او بابطال كل فساد في الامة ؟ لو كان الامر كذلك لما رأينا علماء اوربا وامريكا يضعون مبادىء الاصلاح ويخطبون ويجمعون الرأي العام سنين طويلة

فلا بد اذن من الجهاد المستمر ولا بد من قيام العلماء وكل ذي احساس شريف لمحاربة الادواء الفاشية في الامة وفي مقدمتها الخمور

هذا ما اردت ان اقوله لكم ايها السادة مع اعتقادي بالعجز والتقصير واني ارجو الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا جميعاً الى ترقية المستوى الخلقي والاجتماعي في هذه البلاد

محمد رضا

امين مكتبة الجامعة المصرية